

العراق والمعركة المؤجلة



العراق عند مفترق طرق

لإيران. هذا ما كشفته سلسلة الأحداث التي شهدتها العراق بمدنه المختلفة، بما في ذلك النجف وكربلاء والناصرية، في العامين الماضيين. لم يتردد شيعة عراقيون في القول علناً إنهم يرفضون الرضوخ لإيران وإن العراق هو العراق بينما إيران هي إيران.

من هذا المنطلق تبدو المعركة مؤجلة في العراق. في نتيجة هذه المعركة سيتبين هل العراق عاد العراق... أم أن نتائج الاجتياح الأميركي ما زالت تتفاعل على أرض بلاد الرافدين؟

على غرار ما هو لبنان ومناطق سيطرة الحوثيين في اليمن. يحصل ذلك في وقت تستخدم إيران كل أوراقها من أجل الضغط على الإدارة الأميركية الجديدة لإجبارها على رفع العقوبات التي فرضتها إدارة ترامب على "الجمهورية الإسلامية".

من الواضح أن المفاوضات غير المباشرة والمباشرة الدائرة في فيينا وغير فيينا بين الإيرانيين والأميركيين لم تؤد إلى النتائج التي تطمح إليها طهران. إلى أين سيؤدي ذلك الجواب، بكل بساطة، أن العراق عند مفترق طرق، ما قد يساعد مصطفى الكاظمي أن الجيش العراقي والقوات الأخرى، مثل جهاز مكافحة الإرهاب، لا تزال صامدة ومتماسكة.

الأهم من ذلك كله أن الشعب العراقي يرفض، باكتريته، أن يكون بلده تابعا

في الواقع، كانت "الجمهورية الإسلامية" الطرف الإقليمي الوحيد الذي قدم إلى الأميركيين في عهد جورج بوش الابن كل التسهيلات المطلوبة في حملة اجتياح العراق وصولاً إلى التفاهم مع إدارة باراك أوباما على القبول بأن يكون رئيس الوزراء العراقي مجرد موظف تفرضه طهران ويلتزم تعليماتها.

في النهاية، من الصعب على إيران القبول بعراق مستقل يلعب دوراً خاصاً به على الصعيد الإقليمي. من الصعب عليها القبول بذلك، حتى لو كانت بغداد تحولت إلى المكان الذي يلتقي فيه أمميون من السعودية وإيران للبحث في إمكان إقامة علاقات طبيعية بين البلدين.

كل ما هو مطلوب في الوقت الحاضر أن يكون العراق ورقة إيرانية،

الشعبي" عن طريق رموزه مثل هادي العامري وقيس الخزعلي وغيرهما ليرد على التقارب الحاصل بين العراق ومحيطه العربي.

ليس سراً أن تقارباً حصل، منذ أصبح الكاظمي رئيساً للوزراء في السابع من أيار - مايو 2020، بين بغداد وكل من الرياض وأبوظبي والكويت والقاهرة وعمان وعواصم عربية أخرى. أعيد فتح معبر عرعر بين السعودية والعراق وذلك للمرة الأولى منذ ثلاثة عقود. عملت الحكومة العراقية على إيجاد علاقات متوازنة بين العراق من جهة ومحيطه العربي و"الجمهورية الإسلامية" من جهة أخرى. هذا ما لا يمكن أن تقبل به إيران التي تعتبر أن العراق مجرد تابع لها وأنها المنتصر الوحيد في الحرب الأميركية على العراق في العام 2003.

لها في هذه الدولة العربية أو تلك على أن تصبح السلطة الحقيقية في يد هذه الميليشيات لا أكثر ولا أقل. يظل لبنان، حيث مؤسسات الدولة في حال احتضار، أفضل مثل على مدى النجاح الإيراني في إدارة بلدان أخرى عن طريق ميليشيا مذهبية.

تبدو المعركة الدائرة في العراق في غاية الوضوح، خصوصاً بعد اعتقال السلطات الرسمية لقاسم مصلح قائد عمليات "الحشد الشعبي" في الأنبار. انقسم البلد بين داعم للحكومة برئاسة مصطفى الكاظمي من جهة وداعم لـ"الحشد" من جهة أخرى.

دعا هادي العامري، أحد قادة "الحشد" وصاحب أكبر ميليشيا تعمل في ظل (منظمة بدر) إلى إطلاق قاسم مصلح. أخذ العامري زعيم "تحالف الفتح" في مجلس النواب المبادرة واعتبر أن اعتقال قائد عمليات "الحشد الشعبي" في الأنبار مخالف للقانون. رفض أن يأخذ في الاعتبار الاتهامات الموجهة إلى قاسم مصلح وهي اتهامات تدنيه بالصوت والصورة. ليس معروفًا بعد هل أطلق الرجل المتهم في قضايا مرتبطة بقتل مواطنين عراقين، أم لا.

أكد أن "الحشد" قام بعرضة مسلحة في "المنطقة الخضراء" في بغداد ليثبت أنه القوة الأساسية في العراق وأن على مؤسسات الدولة الانصياع لإرادته... أي أن يكون العراق تابعا لإيران لا أكثر وأن يكون "الحشد الشعبي" النسخة العراقية لـ"الحرس الثوري" في نظام الولي الفقيه؛ ثمة رأيان مختلفان في تقويم الحدث العراقي. هناك من يعتبر أن "الحشد الشعبي" فرض رأيه وأجبر الحكومة على إطلاق قاسم مصلح وأن مستقبل مصطفى الكاظمي وحكومته في مهبط الريح... وثمة من يقول إن قوات الأمن التابعة للحكومة والتي هي في إمرة رئيس الوزراء استطاعت استعباد الموقف في "المنطقة الخضراء" في بغداد وأجبرت "الحشد" على التراجع.

في الواقع، هناك ما هو أبعد من قضية قاسم مصلح والمعركة الدائرة بين الجيش العراقي والقوى الأمنية الأخرى وميليشيات "الحشد الشعبي" من جهة أخرى. هناك أولاً معركة موقع العراق في المنطقة. يتحرك "الحشد

خير الله خير الله
إعلامي لبناني

نشهد حالياً فصلاً آخر من المعركة المؤجلة في العراق. عاجلاً أم آجلاً، لا بد من حسم للمعركة التي في أساسها استحالة تعايش الدولة العراقية، في حال كان مطلوباً أن تكون هناك دولة، مع مجموعة من الميليشيات المذهبية تسمى "الحشد الشعبي".

استطاع "الحشد" إيجاد وضع قانوني لنفسه وتحويل نفسه إلى مؤسسة رسمية عراقية. معنى ذلك خلق وضع غير طبيعي في العراق وتكريس للسيطرة الإيرانية عليه وذلك في ضوء الحرب الأميركية - الإيرانية التي أسفرت في العام 2003 عن سقوط النظام الذي كان على رأسه صدام حسين. كان سقوط نظام صدام طبيعياً. كان مفترضاً به أن يسقط وإنما في ظروف مختلفة تأخذ في الاعتبار الحاجة إلى البحث عن بديل معقول له من جهة والطموحات والأطماع الإيرانية في العراق من جهة أخرى.



الشعب العراقي يرفض، باكتريته، أن يكون بلده تابعا لإيران. هذا ما كشفته سلسلة الأحداث التي شهدتها العراق بمدنه المختلفة، بما في ذلك النجف وكربلاء والناصرية

ما حدث قد حدث في العام 2003 وفي السنوات التي تلتها. في ربيع 2003 عادت الميليشيات العراقية الموالية لإيران، ومنها من شارك إلى جانب "الجمهورية الإسلامية" في حرب السنوات الثماني، على دبابه أميركية إلى بغداد. ما يحصل اليوم نتيجة طبيعية لإصرار تلك الميليشيات على لعب دور "الحرس الثوري" في إيران، أي تحويلها إلى السلطة الحقيقية. تلك هي المدرسة الإيرانية في التعاطي مع دول المنطقة. تقوم هذه المدرسة على إنشاء ميليشيات تابعة

وما زال الحال على حاله في العراق

وأحزاب السلطة في مواجهة انتفاضة مايو الأخيرة يتبين أن الإيرانيين ووكلاءهم قلقون فعلاً، ومتخوفون من احتمال انتصار إرادة المنتفضين. فهم يدركون الحقيقة، فإذا وحّد المنتفضون صفوفهم وإرادتهم، وتمكنوا من اختيار قيادة ميدانية شبابية موحدة مؤهلة للقيادة في الداخل، واختاروا لها أذرعاً مخلصمة فاعلة مؤثرة في الخارج.

لتمكنوا من تغيير الذي لم يكن متوقعا له أن يتغير، ولاستطاعوا تحرير الوطن وأهله من الاحتلال ومن ذبوله أجمعين. وإزاء وضع شائك من هذا الوزن والنوع وجد النظام الإيراني نفسه، وهو في عز أزمانه السياسية الداخلية الإيرانية والإقليمية والدولية مضطراً لاستخدام كل وسيلة لإسكات المنتفضين، بالابتسام السامة الغادرة، وإلهائهم بوعود لا تُنفذ، أو بشراء بعضهم بوظائف الحكومة ورواتبها، وهي مهمة حكومة مصطفى الكاظمي، أو باحتكام الانتفاضة بمجاميع مسلحة مجهولة تتسلل وتعتدي على القوات الأمنية لتبرير استخدامها الرصاص الحي، وإغتيال المتظاهر الوطني العنيد الشجاع الشريف، أو باعتقاله بأية تهمة ملفقة، أو بتهديده وإرهابه وإجباره على الاختباء أو الهرب خارج الوطن، وهي مهمة الفصائل المسلحة المنضوية تحت راية الحشد الشعبي سيء الصيت.

والخلاصة أن الوضع المتشابك المعقد الملتبس لم يترك للشعب العراقي سوى خيارين. فإما أن يرضخ ويستكين ويرضى بالأمر الواقع، بكل مرارته وتعاسته، أو أن يلجأ إلى التحدي والمواجهة، ويوطن نفسه على حروب الشوارع والعصيان المدني رضاياً بطنها الباهظ وقابلاً بتقديم قوافل جديدة من الشهداء، حتى يلين الحديد، ويتحقق المراد، ويشاهد العالم كبار الفاسدين والقتلة والذبول وراء القضبان يحاكمون علناً على شاشات التلفزيون.

ولكن تدقيق الحالة العراقية المعقدة المتشابكة الممتدة على ثماني عشرة سنة يُثبت لنا أن الإحتلال الإيراني أغبي احتلال شهد تاريخ الطويل. فقد مص دم العراق بفظاظة ونهم وحماقة، حتى لم تسلم من شروره محافظات الوسط والجنوب الشيعية التي يزعم بأنه جاء لحمايتها وإسعادها.

الأمم المتحدة العراقية المعقدة المتشابكة الممتدة على ثماني عشرة سنة يُثبت لنا أن الإحتلال الإيراني أغبي احتلال شهد تاريخ الطويل. فقد مص دم العراق بفظاظة ونهم وحماقة، حتى لم تسلم من شروره محافظات الوسط والجنوب الشيعية التي يزعم بأنه جاء لحمايتها وإسعادها.

ولو لم يكن المحتلون الإيرانيون أغبياء بامتياز، وحمقى وعميان بصر وبصيرة لما اختاروا أسوأ العراقيين وأكثرهم دناءة، لجعلوا الناس تلجأ، اضطراباً، إلى الثورة عليهم وعلى وكلائهم، بعد صبر مر وطويل. وقد بين استطلاع للرأي أجراه معهد غالوب أنترناشيونال ونشره معهد واشنطن مؤخرًا أن 80 في المئة من العراقيين الشيعة غير راضين عن أداء الحكومة الحالية. ومن السلوك المتوحش المتطرف الأخير الذي أظهرته الفصائل المسلحة

الكاظمي بقادر على أن يطلق سراح المعتقل VIP ليضيف فضيحة جديدة إلى فضائحه السابقة المتلاحقة التي عودنا على ارتكابها عند كل اعتقال يعقبه تسريح مع اعتذار، ولا هو من نوع صدام حسين العنيد الخشن المعروف بأنه إذا قرر شيئاً ثبت عليه، أي كانت العواقب.

ومن يدري؟ فعمل هذه الحفلة كلها هي مصارعة (عدنان قيسي) جديدة أو خرافة أبوطير أخرى لإشغال الناس وإلهائهم وجعلهم ينسون الانتفاضة والمنتفضين.

ولو تجاوزنا حوادث القتل والإغتيال السابقة التي حدثت في عهود رؤساء الوزارات المواطنين السابقين، واكتفينا بتتبع عمليات الإغتيال التي وقعت منذ 7 مايو من العام الماضي، في عهد الرئيس الشعبي الكاظمي المتهم بخيانة القتل قاسم سليمان، والتحدث المل عن هيئة الدولة، وعن عدم شرعية السلاح المفلت، لكانت كل حلقة من مسلسل الإغتيال العنيد المصور بكاميرات المراقبة الحكومية كافية لإقناعنا بأن هذه الحفلة لن تكون إلا كسابقاتها. فبعد شهر أو شهرين سينسى الشعب العراقي، وينسى ذؤ الشهداء، وينسى الرئيس نفسه، فيسلم المتهم الموقوف لقيادة الحشد، ويطلق سراحه، ويعود كل شيء إلى أصله المعتاد. هذا إذا لم يكن المعتقل الذي تمت استضافته قاسم المصلح فيه مضافة 5 نجوم.

أما الذين يتوقعون أن تكون عملية اعتقال قاسم المصلح مقدمة لاعتقال باقي قتلة المتظاهرين، ونحن منهم، فيحلمون. لأن ذلك لن يحدث إلا إذا أصابت الإيرانيين صحوة عقل وعزيمة، وإلا إذا هبط عليهم نكأ غير عادي وغير متوقع ليغيروا أخلاقهم، ويطلقوا ظروف احتلالهم، ويسترضوا العراقيين بقبول التخلّص من كبار اعوانهم القتل المفضوحين.

الباقية، سواء المنتفضة أو الصابرة المتألمة للثورة، في جانب آخر. ولا سلام بين الأثنين، ولا أمل في تعايش محتمل بينهما، ولن يستقيم الحال إلا بأن تُغلب إحداهما الأخرى، سلماً أو حرباً، في يوم من الأيام.

إلا أن الأحداث المثيرة الأخيرة التي أعقبت اغتيال الشهيد إيهاب الوزني وفاهم الطائي، وعودة المنتفضين إلى شوارع الوطن وساحاته مطالبين بالكشف عن قتلة المتظاهرين، وداعين إلى مقاطعة الانتخابات، واللجوء إلى العصيان المدني، أجبرت الكاظمي على اعتقال المدعو قاسم مصلح، قائد الحشد الشعبي في الأنبار، والتحقق معه في جريمة قتل الشهيدين.

وكما كان متوقعا فقد دخل المجاهدون المسلحون الحشديون إلى مقر دار القائد العام للقوات المسلحة لتحرير ريفهم المعتقل، بالقوة، وعلى الفور. وحتى ساعة كتابة هذه المقالة لا يبدو أن أحد الفريقين قد انتصر على ريفه في الولاء. فلا

الباقية، سواء المنتفضة أو الصابرة المتألمة للثورة، في جانب آخر. ولا سلام بين الأثنين، ولا أمل في تعايش محتمل بينهما، ولن يستقيم الحال إلا بأن تُغلب إحداهما الأخرى، سلماً أو حرباً، في يوم من الأيام.

إلا أن الأحداث المثيرة الأخيرة التي أعقبت اغتيال الشهيد إيهاب الوزني وفاهم الطائي، وعودة المنتفضين إلى شوارع الوطن وساحاته مطالبين بالكشف عن قتلة المتظاهرين، وداعين إلى مقاطعة الانتخابات، واللجوء إلى العصيان المدني، أجبرت الكاظمي على اعتقال المدعو قاسم مصلح، قائد الحشد الشعبي في الأنبار، والتحقق معه في جريمة قتل الشهيدين.

وكما كان متوقعا فقد دخل المجاهدون المسلحون الحشديون إلى مقر دار القائد العام للقوات المسلحة لتحرير ريفهم المعتقل، بالقوة، وعلى الفور. وحتى ساعة كتابة هذه المقالة لا يبدو أن أحد الفريقين قد انتصر على ريفه في الولاء. فلا

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

إن أهم ما أنتجت الانتفاضة العراقية الأخيرة أنها كشفت المسكوت عنه من حقيقة ظل نصفها غائماً وغير بائن، وهي أن للاحتلال الإيراني جناحين لضبط العراق ومواصله الإمسك الأمن برقاب أهله المعروفين بالثورات والانتفاضات، ولكن بعد صبر مر وطويل.

فالجناح الأول هو جميع الدولة العراقية، بحكومتها وبرلمانها وقضائها وجيشها وأجهزة أمنها وإداراتها المالية والاقتصادية والزراعية والصناعية والدوائية، وبعلاقاتها الخارجية، كافة.

أما الجناح الثاني فهو جميع الفصائل والميليشيات والأحزاب والتنظيمات المملوكة لقاداتها العراقيين الإيرانيين، سواء أكانت علنية استعراضية أم سرية يُطلق عليها اسم (الطرف الثالث) الملتزم المتخفي.

ومن حين إلى آخر يتعمد المهيمن الإيراني اقتتال مصادمة بين جناحيه لضبط الواحد منهما بالأخر، وإلهايم المعارضين بعدم وجود تناغم وتغامر وتوزيع أدوار بين الجناحين. وكل هذه الخطة المتجانسة بجناحيها في جانب، وجماهير الشعب العراقي

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير

مختار الدبابي

كرم نعمة

منى المحروقي

مدير النشر

علي قاسم

المدير الفني

سعيدة يعقوبي

تصدر عن

Al-Arab Publishing House

المكتب الرئيسي (لندن)

The Quadrant

177 - 179 Hammersmith Road

London, W6 8BS, UK

Tel: (+44) 20 7602 3999

Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان

Advertising Department

Tel: +44 20 8742 9262

ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk

editor@alarab.co.uk